الاستنساخ البشري
إلى أين...؟!

الدكتور عبد الحميد القضاة

اختصاصي تشخيص الأمراض الجرثومية والأمصال

المختبرات التخصصية – إربد

٢٠٠٣/١/١١م

المقدمة

إذا جاز للناس في الغرب أن ينشغلوا بالاستنساخ البشري، وهم الذين عاشوا الاستقرار والرفاه والترف المادي بكل جوانبه... حتى حظيت كلابهم وقططهم بدلال منقطع النظير، وترفاً لا مثيل له... إذا جاز لهؤلاء ذلك، فقطعاً لا يجوز لنا نحن المسلمين، الذين نعيش أكثر القضايا سخونة في العالم، ابتداءً من فلسطين مروراً بأفغانستان وانتهاءً بالعراق. يتنازعنا الظلم والقهر، ويتجاذبنا الجوع والحرمان، إضافة إلى أساطيل الكفر تجوب ديار المسلمين لتمزيق الأهل في العراق بعد أن مزقتهم في فلسطين. إنساننا هذا المولود طبيعياً (غير المستنسخ) نقر ونعترف بأننا غير قادرين على تهيئة العيش الكريم المستقر الآمن له، فإذا كان هذا حالنا، فما لنا ولأهل الترف وجنونهم ومتاهاتهم العجيبة الغريبة.

تضخيم مشبوه

والاستنساخ البشري صرعة طبَّل لها الإعلام الموجَّه طويلاً، وبث أموراً غير صحيحة، جعلت الإنسان في حيرةٍ من أمره، وأثارت في نفسه شكوكاً وتساؤلات، فتصور الأمر بطريقة غريبة عجيبة، وهو لجهله ظن أن الاستنساخ سيغير وجة البسيطة وطبيعة الحياة، وحقيقة الأمر ليست كذلك، إذ أن هذا التضخيم الإعلامي لا مبرر له للأمور التالية:

أولاً: الاستنساخ البشري من ناحية نظرية يمكن حدوثه بعد أن حدث فعلاً بالحيوان. وعليه فلا أستغرب ما أعلنته رئيسة شركة كلون أيد (Clonaid) بيرجيت بواسولييه عن ولادة أول طفلة مستنسخة (حواء) في ٢٠٠٢/١٢/٢٦م من أمّ أمريكية، وعن ولادة ثاني طفلة مستنسخة في ٢٠٠٣/١/٤م من أمّ هولندية سُحاقية. لأن النظرية موجودة، وقابلة للتطبيق إذا توفرت الإمكانات الفنية العلمية والمخبرية والمال الكافي، والمرأة المتطوعة للحمل، إذا توفر

هذا فما الذي يمنع من حدوثه عملياً؟ ... الجواب لا شيء... بغض النظر عن حله أو حرمته، لأن هؤلاء لا يحللون ولا يُحرمون، وليس بعد الكفر ذنب.

لكن السؤال الأهم بنظري هو: ما الذي سيتغير في الكون أو ما الذي سيطرأ على التركيبة السكانية للعالم بعد هذا الاستنساخ البشري المزعوم؟ هل سيزيد عدد سكان العالم مائة... ألفاً... ؟! وماذا يمكن أن يغير هذا الرقم في التعداد السكاني العالمي (والذي يبلغ ستة مليارات)؟... أعتقد لا شيء..!! ولذلك سيبقى الاستنساخ البشري صرعة نادرةً لن تغير من سنن الفطرة شيئاً، خاصة إذا علمنا الأمور التالية:

١. إن عملية الاستنساخ البشري مكلفة مادياً إلى حد لا يستطيعه الإنسان العادي (ربع مليون دولار للفرد.!) ومما يزيد في كلفته المادية أن من كل مائة عملية استنساخ تنجح عملية أو عمليتين فقط كما أعلنت بريجيت بواسولييه رئيسة شركة كلون أيد، ونظراً لقلة فوائده الحقيقية سيبقى أقرب للترف العلمي منه إلى الضرورة.

٢. أنه لن يُقدم على الاستنساخ البشري إلاّ زوجان أحدهما أو كلاهما عقيم، شريطة أن يكونا قادرين مادياً، وغير ملتزمين بأي دين، وموجودين خارج مناطق تحرِّم الاستنساخ البشري قانونياً (علماً أن كل دول العالم وكذلك الأديان تحرِّم ذلك). فهذا كله يقلل عدد المتقدمين لهذا الأمر... إضافة إلى أن الاستنساخ البشري لا يتم بضغطة زر...! فهو بحاجة إلى نجاح المحاولة، ثم مرور فترة الحمل (٩ شهور)، ثم الولادة، فإذا كُتبت للمستنسَخ السلامة، فلا بد له أن ينمو ويحبو ويمشي ويكبر تدريجياً حتى يصبح شاباً... وهكذا يكون تصوير الإعلام بأن الأرض ستمتلئ بجحافل المستنسخين بين عشية وضحاها أمراً مبالغاً فيه. فما الذي يمكن أن يعمله هذا العدد القليل من المستنسَخين من تغييرات في موازين السكان، خاصة إذا علمنا أن منظمة الصحة العالمية، رغم ما تنفقه من مليارات

الدولارات سنوياً للحد من الحمل أو لتنظيمه، تنتهي إلى إعلان شكوى عن وجود ١٢٥ مليون حمل غير مرغوب فيه سنوياً! وغير قادرة على إيقافه! رغم جحافل العاملين معها من أهل الاختصاص في هذا الحقل... فماذا يؤثر مائة مستنسَخ مع هذا الرقم الكبير؟.

٣. أنه لو كان الاستنساخ البشري يحدث جماعياً من خلال آلات حضانة كبيرة كالفاقسات المستعملة لبيض الدجاج، بحيث أن جيشاً كبيراً يظهر كل عدة شهور لكان الأمر مخيفاً وهاماً فعلاً، ولكن هذا هو الخيال بعينه... فالباحثون لن يستطيعوا اختصار مدة الحمل، ولن يستطيعوا عمله إلاّ داخل رحم امرأة، وبكامل رغبتها ورضاها!!! كما أنهم لن يستطيعوا إلحاق الطفل المستنسَخ بالخدمة العسكرية فور ولادته!... بل سنة الله تعالى في التدرج والنمو هي التي ستأخذ مجراها. فلماذا يحاول الإعلام تخويف الناس من هذه الجيوش المتوهمة التي ستظهر بواسطة الاستنساخ ؟ فواقع الأمر غير ذلك تماماً.

٤. أن العلم قد أثبت أن التشابه بين المستنسخ والمستنسخ عنه هو تشابه بالشكل فقط (طولاً وعرضاً ولوناً) وليس بالمواهب والقدرات الفكرية والذهنية، حيث أن البيئة التي يعيشها المستنسخ والدراسة هي التي ستحدد قدراته ولا شيء يربطه بسابقه، فالشبه مادي وليس فكرياً ولا ذهنياً إطلاقاً. وعليه، يكون الخوف من إعادة استنساخ هتلر وأشباهه ممن كان لهم تاريخ مخيف، هو من صناعة الإعلام وتهويله.

٥. أنه ورغم أن الكثير من الدول الغربية قد أباحت زواج المثليين (زواج ذكر من ذكر أو أنثى من أنثى) وباركته السلطات الدينية والرسمية، ويجري تحت سمع وبصر الجميع ولا أحد يستنكره، بل وأصبح لهؤلاء الشاذين نواد وبرك سباحة وحقوق كثيرة وامتيازات!... رغم هذا الدلال والحماية القانونية للشذوذ والشواذ،

إلاّ أنهم لم يستطيعوا تغيير سنن الفطرة، وبقي الزواج أساساً صحيحاً لعلاقة الرجل بالمرأة، وأرضية صحيحة لبناء أسرة سليمة، بل كانوا سبباً لعودة كثير من المراقبين إلى دين الفطرة، الذي ينسجم والنفس البشرية، لهذا فإن الاستنساخ البشري الذي لا يتمتع بمثل هذه الشرعية القانونية، بل إنه محرم شرعاً وقانوناً دولياً، ويكتنف تطبيقه كثير من العقبات المادية والزمنية والدينية... لن يكون له أثر على الحياة وسننها كما يطيب للبعض أن يتصور ؟

٦. وأخيراً، أليس مما يثير الشك هذا التناقض الذي يُفسر في أحسن الاحتمالات بأنه تخبط عندما يجمع العالم على تنظيم النسل تمهيداً لتحديده تحت شتى الذرائع والمسميات، وتقوم بعض الدول بتحديده بمولود واحد فقط (الصين)، كما تقوم منظمة الصحة العالمية لإنجاح الفكرة بحشد أعداد هائلة من ذوي الاختصاص وتنفق مليارات الدولارات، وفي نفس الوقت تقوم مراكز مشبوهة مستخدمة إعلاماً مشبوهاً لأغراض مشبوهة بالتهليل والتطبيل للاستنساخ البشري ؟.

ثانياً: الاستنساخ قديم وليس جديداً، فهو الطريقة التي تتكاثر بها المخلوقات البدائية (الأدنى في سلم التدرج البيولوجي) كالبكتيريا والأميبيا، وهي مخلوقات وحيدة الخلية، إذا توفرت لها ظروف النمو من طعام وحرارة، فإنها تتكاثر... وتتكاثر باستنساخ نفسها إلى ما لا نهاية. وقد أعطاها الله تبارك وتعالى خاصية لم يعطها للمخلوقات الأرقى في السلم البيولوجي، الذي يتربع على قمته الإنسان، فالطريقة التي أرداها الله لتكاثر الإنسان تتماشى مع فطرته وروقيه بين المخلوقات، وتتماشى مع الذكورة والأنوثة التي خلقها الله تعالى، فأي تلاعب عبثي في أمر فطري كهذا هو تراجع طوعي نحو البدائية، وما أسوأها أن يوضع الإنسان في القمة ولكنه يصرُّ على التراجع وتقليد المخلوقات البدائية... وإن ارتضت فئة من الناس في العالم هذا الارتكاس والتراجع لغرض في نفسها، فإن الغالبية العظمى من البشر وعلى مدى

الزمان واختلاف المكان ستلتزم الفطرة وبالتالي لن يكون للاستنساخ البشري ذلك الأثر الحقيقي على التوازن السكاني في العالم، فانتشار الشذوذ المحمي بالقانون في العالم، لم يلغ الأسرة المكونة من الزوج والزوجة والأطفال هكذا.

ثالثاً: عندما خلق الله البكتيريا على شكلها الحالي، وهداها لطريقة تكاثرها بالاستنساخ ".. **الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى**" (٥٠ طه)، أعطاها أيضاً خاصية عدم الشيخوخة، أي أن البكتيريا الواحدة عند الانقسام إلى اثنتين متساويتين ومتشابهتين تماماً بواسطة الاستنساخ، فلا تكون واحدة كبيرة هرمة وأخرى صغيرة وليدة، بل هما وليدتان تتمتعان بشباب وقوة متساوية، وتستعد كل واحدة للنمو ثم للانقسام من جديد!.. وهكذا، فكل واحدة بما فيها من مادة وراثية تتمتع بشباب دائم وعمرها يبدأ لحظة انقسامها، بينما لا توجد هذه الخاصية في الاستنساخ البشري، حيث أن الكروموسومات – وهي المادة الأساسية في الاستنساخ – لها عمر يبدأ منذ لحظة اندماج الحيوان المنوي والبويضة في بداية تخلق الإنسان... حيث يصبح جنيناً ثم تمضي فترة الحمل والولادة والنمو حتى يصبح بالغاً. فلنفترض أن عمره أصبح ثلاثين عاماً، فهذا يعني أن عمر الكروموسومات الموجودة في خلايا هذا الإنسان هو ثلاثون عاماً... في كل مرة تتكاثر فيه خلايا هذا الإنسان، فإن الكروموسومات تفقد بعض فعاليتها وشبابها، ثم مع تقدم العمر تصبح قصيرة وتفقد بعض موادها الوراثية الهامة، وهذا يؤدي إلى الشيخوخة.. فلنتصور أن هذا الإنسان البالغ من العمر ثلاثين عاماً هو الذي أخذت منه الخلية بما فيها من كروموسومات واستُعملت للاستنساخ، فإن الذي سيولد (المستنسَخ) سيكون عمر الكروموسومات عنده منذ الولادة بعمر أمه، كما هو الحال الآن في (حواء) التي ولدت في ٢٦ /١٢/٢٠٠٢، فعمر خلاياها هو واحد وثلاثون عاماً... وبالتالي لو قدر لها العيش فستصاب بالشيخوخة المبكرة، ناهيك عن مجموعة الأمراض الوراثية التي ستظهر فيما بعد شيئاً فشيئاً ، لذلك فإن الله تعالى عندما قدَّر للبكتيريا أن تتكاثر بالاستنساخ، أعطاها خاصية ديمومة الشباب والتجدد، بينما أعطى الإنسان طريقة مختلفة للتكاثر لأجل معين وهدف آخر، فإذا أصر الإنسان على أن يقوم بدور البكتيريا في الاستنساخ، فلن يفوز بدوام الشباب والتجدد، بل

سيفوز بقصر العمر ومجموعة من الأمراض، وهذا سيظهر للناس مع تقدم الوقت، وبالتالي سينفضون عن هذه الصرعة الجديدة، ويعرفون حقيقتها.

ركوب موجة الاستنساخ

تختلف دوافع الذين ركبوا موجة الاستنساخ من شخص لآخر على النحو التالي:

أولاً: بعضهم ركب موجة الاستنساخ ابتغاء الشهرة والأضواء من خلال الفضائيات والمقابلات والجرائد والمجلات، وقد حصلوا على ذلك ببساطة لأن الكثير من وسائل الإعلام لا تركز على صحة الحدث، بقدر ما تركز على الإثارة والترويج.

ثانيا: ومنهم من ركب هذه الموجة العلمية بخبث ودهاء، هدفه تشكيك الناس بثوابت دينهم ومعتقداتهم، ومثال ذلك:

١. صرعة الرائيليين التي بدأت تظهر مقرونة بالأخبار المثيرة عن الاستنساخ البشري، لإحداث مزيد من البلبلة والتشكيك، حيث أن هذه الطائفة تعتقد أن البشر قد خُلقوا مستنسخين من كائنات تعيش على كوكب آخر. وهذه الأفكار إلحادية، هدفها إحداث دوامة من التشكيك عند عامة الناس لإشغالهم بما لا يفيد. وظهور هذا الأمر بطريقة مثيرة تارة في أمريكا وتارة في فرنسا وأخرى في هولندا... إعلانات ومؤتمرات صحفية وأخبار مثيرة عن مواليد مستنسخة برعاية رائيلية إلحادية تطرح معتقدات تخالف كل ما أجمعت عليه الأديان بخصوص الخالق والمخلوق.

٢. وبدأ البعض يُصرِّح تارة ويُلمح أخرى بخبثٍ ودهاءٍ إلى أن الإنسان قد استطاع أن يستنسخ نفسه ولذلك سيأتي اليوم الذي سيتمكن فيه من استنساخ روحه. وهذا يعني معرفة طبيعة ومادة وماهية الروح، وهذا أمر آخر لتشكيك الناس في معتقدهم

بخصوص الروح "**ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلاّ قليلاً**" (٨٥ الإسراء).

٣. كما أن البعض أيضاً بدأ يدَّعي بأن معجزة خلق سيدنا عيسى قد فقدت بعض بريقها مادامت المرأة قد حملت وولدت من نفسها واليوم ولدت أنثى وغداً ستلد ذكراً وهكذا.

٤. تجاوز خيال البعض الحد المعقول من إدعاء إمكانية استنساخ بعض العلماء السابقين مثل آينشتاين ونيوتن وغيرهم إلى استنساخ الأنبياء والرسل، وهكذا فقد فتحوا أبواب الخيال على مصراعيه لنفث سموم كثيرة هدفها التقليل من شأنهم والتشكيك بالدين.

٥. وهل الولادة الثانية – إن حدثت فعلاً – من أم سُحاقية شاذة متزوجة من سُحاقية مثلها في هولندا إلاّ عملية تسويق للشذوذ وتحسينه وعولمته، حتى لا يبقى عائق في نظر من يريد الزواج المثليّ والشذوذ، ما دامت السلطات الدينية والرسمية في بعض بلدان العالم الغربي قد أجازته وخاصة في هولندا وتحميه بالقانون. فها هو نداء الفطرة بالحصول على الولد قد لُبِّي من خلال الاستنساخ وكأن لسان حالهم يقول: لا داعي للتردد فهيّا للشذوذ..!.

٦. وإن نسيت فلن أنسى التوقيت الخبيث الذي أُعلن فيه أول خبر عن الاستنساخ في ١٩٩٧/٢/٢٧ وبالذات عن النعجة (دوللي)، حيث أصيب الناس بالذهول، فعقدت المؤتمرات والندوات والمحاضرات وكتبت الجرائد والمجلات، وأجريت المقابلات العديدة وانشغل الناس وحتى المجامع الفقهية بذلك. وكان يوم ١٩٩٧/٢/٢٧ قمة أزمة جبل أبو غنيم في القدس حيث كانت المحاولات على أشدها من اليهود للاستيلاء عليه والاستيطان فيه..؟!. فقد انشغل الناس بالاستنساخ ونسوا أبو غنيم، فأخذ كما أخذ غيره وفاز اليهود بما يريدون في غمرة انشغال المسلمين في دوامة

خبر الاستنساخ. علماً أن النعجة (دوللي) كانت قد وُلدت قبل هذا التاريخ بستة أشهر، ولكن اختيار الوقت الذي أعلن فيه عنها لم يكن عبثاً حيث أعلن مرة واحدة في كل المحطات والفضائيات العالمية التي يسيطر عليها اليهود، ومن ثم تناولها الإعلام في كل مكان بنفس الوقت والطريقة التي رتبها أصحابها لذلك.

وأقل ما يمكن أن تكتشفه هذه الواقعة أمرين، هما :

١. العلاقة العضوية الحميمة بين بعض هذه المراكز والصهيونية العالمية، بحيث تسرب هذه المراكز الخبر وتقوم الثانية بإعلانه في الوقت المناسب.

٢. الهيمنة البالغة للصهيونية على هذه المراكز وعلى المؤسسات الإعلامية في العالم، بحيث تعلنها المحطات والفضائيات التي تسيطر عليها، ثم يتناولها الإعلام في كل مكان بنفس الوقت تحت غطاء السبق الصحفي.

ولكن يا ترى ما هي اللعبة التي يراد تمريرها اليوم ؟ وماذا يراد بالعالم على يد الصليبية المتصهينة من إعلان الرائليين الذين اتخذوا من نجمة داود (عليه السلام) وبداخلها مجرة شعاراً لهم ؟!.

وأخيراً فإنني مع كل تطور علمي لا يصادم الفطرة فما أحوج الإنسانية إلى الاستنساخ النباتي والحيواني، ولكن ما أسوأها أن يصل الأمر إلى هذا المخلوق المكرم –الإنسان – فنحن البشر لسنا بحاجة له، فهو ترف ... بل خروج على الفطرة، ومع هذا إذا أصر القوم واستكبروا وانتشر الاستنساخ البشري، فلن يغير شيئاً من سنة الله في الكون، ولن ينالهم من وراء ذلك إلا التعب والخسران وتبذير الأموال فيما لا طائل من ورائه. **"سنة الله التي قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلاً"** (٢٣ الفتح). **"....فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون"** (٣٠ الروم).